مجلة العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكّمة

المجلد السادس، ٢٠١٤ م

ISSN (Online) : 2321-2756 ISSN (Print) : 2277-9914

قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
ترونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

العلاقات المِلاحيّة بين العرب وولاية تَامِل نَادُو

د/ ك. م. أ. أحمد زبير

أستاذ مساعد، قسم العربية، الكلية الجديدة، شنائي، تامل نادو، الهند

كانت الهند مركزا كبيرا منذ زمن قديم حتى قبل الميلاد. بسبب وجودها في وسط العالم، وبسبب وجودها على المحيط الهندي، وبسبب وقوعها في بحيرة العرب وخليج بنغال، كانت السفن التي تمرّ بالبضائع إلى الشرق والشرق الأقصى ترسى مرساتها على سواحل الهند الغربية والشرقية؛ والسفن التي تمرّ من الشرق إلى الغرب وإلى البلدان العربية أيضا كانت ترسى مرساتها في شواطئ الهند شرقا وغربا. العلاقة بين الهند والدول العربية كانت قديمة وعريقة منذ فجر التاريخ. ويُروي أنه لمّا أُخرج آدم (ع) من الجنة أُهبط بسرنديب (سيلان) من أرض الهند القديمة. وكانت القوافل التجارية تجيء إلى المناطق الساحلية في جنوب الهند، وتعرّف العرب على المدن الرئيسية التي تقع على الساحل الهندي الطويل مثل كليكوتى (Kallikottai)، ومسيري (Musri)، وطوندي (Thondi)، وكوشي (Kochi)، وكولم (Kollam)، وكايل (Kayal)، وناغاباتنم (Nagapattanam)، ومسولي باتنم (Masulipattanam)، ووجيانغرم (Vijayanagaram). وبفضل هذا الاحتكاك التجاري، تأثرت الحياة الهندية اجتماعيا وحضارة ولغة حتى وصلت اللغة العربية إلى الهندية الجنوبية عموما، وبخاصة في ولاية تامل نادو قبل مجيئ الإسلام بقرون([1]).

جاء في العهد القديم أن الإسرائيليين كانوا يتجرون مع الهند في عهد النبيّ داود (ع). وكانت السفن التجارية في تلك الأيام تصل ميناء "أوفير" بالسواحل المليبارية مرة في كل ثلاث سنوات. وهو الميناء المعروف باسم Beypore الواقع على بعد سبعة أميال من مدينة (كاليكوت) مطلا على البحر العربي. وتبعهم اليونان والرومان في التجارات البحرية مع الهند. ثم لما تأسست مدينة حضرموت في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية، أصبح العرب همزة وصل في التجارة بين الهند والبلدان الأخرى. وكانت البواخر المشحونة بالفلفل والبهارات والهيل والعاج تتجه من السواحل الهندية، وتعبر أولا الخليج الفارسي حتى تصل إلى هرمز ، فيباع هناك جزء من هذه المصدرات، ومن ثم تتجه نحو البصرة إلى أرمينية وبلاد الشام، كما تنقل منها هذه الثروات إلى مناطق بيروت، ومنها إلى إيطاليا، وإلى نواحي البلاد الأوروبية، وفى بعض الأحيان كان يأتي تجار هذه البلاد إلى البندقية ويحملونها إلى بلادهم([2]).

---

[1] المقال "العلاقات الثقافية بين العرب وولاية تامل نادو"، د/ أحمد زبير، مجلة الشروق الهندي، العدد الأول، المجلد الثاني، فبراير ٢٠١٤م، ص: ٥٣

[2] المقال "جذور العلاقات الهندية العربية "، د/ جمال الدين الفاروقي، مجلة "كيرلا"، العدد:١، ٢٠١٠م، ص:٨

لقد وصل الملاحون العرب إلى الصين والهند في عصر ما قبل الاسلام، واستمر هذا التفوق في العصور الإسلامية، وكان الحرير السلعة الصينية الرئيسية في تجارة الصين مع العالم الغربى، كما كانت التوابل والأفاوية والعنبر السلع الرئيسية في تجارة الهند وجنوب شرق آسيا، فكان الحرير والتوابل تنقل من الصين إلى المشرق الإسلامى مرورا بالخليج العربى، ومن هناك إلى الغرب الأوربي. وهذا الطريق إلى الهند والصين والذى كان يسلكه التجار العرب ذهابا وإيابا، عند نقلهم للحرير، والتوابل، وسائر السلع من الشرق الأقصى، كان همزة الوصل بين عالمين مختلفين، عالم الشرق وعالم الغرب.

كان للعرب صلات وعلاقات تجارية مع الهند قبل الإسلام، وكانت سفن التجار العرب في الجاهلية تصل إلى بحر السند وشواطئ ماليبار، وتعود محملة بالأقمشة والحرير والتوابل والسيوف الهندية التي طالما تغنوا بها في أشعارهم، وأولعوا بها حتى سموا السيف المطبوع من حديد الهند بالمهند، وقالوا: سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند، وسموا كثيرا من نسائهم هندا([1]). وبعد الإسلام، بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند في عهد الخلفاء الراشدين، وفتحوا ثغورا عديدة في الهند، أهمها مكران، وخور الديبل([2]). كان الساحل اليمنى مزدحما بأصحاب السفن الملاحين العرب، وهم دائبون على أعمالها التجارية مع تويجازا (في الهند)، وكانت العلاقة التجارية بين هذا الميناء والهند وثيقة([3]). وكان المحيط الهندي مركزا لنشاطات تجارية متعددة الجهات والتبادل الثقافي. إنه موقع لتفاعل الحضارات الأربع: الحضارة العربية الفارسية، وحضارة جنوب شرق آسيا، والحضارة الهندية، والحضارة الصينية.

إن ولاية (تَامِلْ نَادُو) هي أول ولاية هندية وطأتها أقدام العرب، والإسلام دخل في ولاية تامل نادو في عهد النبي (ص). إن السكان والحكام استقبلوا العرب استقبالا حارا، وجعلوا يعتنقون الإسلام ويفتخرون به. إن اللغة العربية أثرت في مواطني تامل نادو تأثيرا عميقا واسع النطاق، كما أثرت في لغات أخرى من لغات الهند. توغلت اللغة العربية في تامل نادو و ترعرعت في تربيتها الخصبة. إن العلاقة بين أهل تامل نادو وتجار العرب فتحت آفاقا جديدة لتبادل الأفكار والخواطر وتفاهم الثقافات واللغات. كان التجار العرب والهنود يتبادلون المنتوجات والمصنوعات فيما بينهم، وامتدت هذه الأحوال إلى استيطان العرب في الأماكن الساحلية المليبارية والتاملية أي مناطق (مليبار)، ومناطق (معبر)([4]).

وقد عرف العرب الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية، وحددوا الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي. أما الرحلة إلى الهند فكانت ممكنة طوال العام من الساحل العربى، ولذلك كانت الرحلات العربية إلى الهند كثيرة حيث كان يمكن القيام برحلتين أو أكثر ذهابا من عمان والخليج خلال موسم واحد. وكانت السفن العربية تقوم برحلات عند هدوء الرياح الموسمية الجنوبية الغربية حيث تصل إلى سواحل الهند خلال أسبوعين تقريبا. وكانت رحلة الذهاب والإياب مع التوقف للتبادل التجارى تستغرق ثلاثة أشهر. وكان على المراكب العربية أن تغادر ساحل كجرات Gujarat، وكونكان Konkan في نهاية زيارتها قبل أواخر شهر يونيه، وهو الوقت الذى تبلغ فيه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أقصى حدتها. وفي الأحوال العادية، يتسع الوقت أمامها لتغادر قبل ذلك بوقت طويل أي في شهر مارس وأبريل. هذا عن السفن الكبيرة، أما السفن الصغيرة، فكانت تتخذ أحيانا طريقا ساحليا من الخليج، حيث تتوقف في قيس أو هرمز القديمة أو

---

[1] المقال " العلاقات الهندية العربية بتركيز جذورها في ولاية تامل نادو"، د/ أحمد زبير، مجلة الصحوة الإسلامية، العدد: ٧٠، يونيو ٢٠١٣م، ص: ٨٤

[2] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الجزء الأول ، ص: ٢٩٩

[3] جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م، ص: ٣و٤

[4] مجلة" ثقافة الهند"، المقال بعنوان "العرب والإسلام في ولاية تامل نادو" للدكتور.ك.م.ع.أحمد زبير، المجلد ٥٥ ، العدد ٤ ، ٢٠٠٤ م ص : ١٤٦، تصدر عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، الهند.

صحار أو تيز في مكران أو في أحد موانئ السند، ومنها مساحلة إلى عدن الملبار، كانت هذه السفن تبحر إما عن المضيق من سرنديب وجنوب الهند إلى خليج البنغال، وإما تسير إلى سرنديب([١]).

وتبدأ الرياح الموسمية الجنوبية الغربية مبكرة في المنطقة الجنوبية، وتستمر لفترة من الوقت، ولذا فساحل الملبار يعتبر من المناطق الخطرة منذ شهر مايو حتى نهاية سبتمبر، وهذا يعنى أن موسم الرحلات البحرية في الملبار نفسها لا يتعدى سبعة أشهر أو ثمانية على حين أنه يمتد إلى عشرة أشهر على ساحل (كجرات). وفي هذا خطر على السفن الملبارية أكثر منه على السفن العربية إذ لا بد من عودة السفن الهندية إلى مواطنها قبل شهر مايو في الوقت الذى تكون فيه السفن العربية قد خرجت من مياه الملبار. وبالتالى، فإن هذا يعطى ميزة للسفن القادمة من الموانئ العربية لأن موسم رحلاتها البحرية أطول. وهذا يؤيد الاعتقاد القائل إن العرب الذين لا توجد أخشاب لديهم استطاعوا أن يتغلبوا على الطرق التجارية في المحيط الهندي([٢]). إن التجار الهنود قد عرفوا الطرق البحرية التي تصل بين الهند ومصر، وبدأت هذه الصلة منذ ٢٣ سنة قبل ميلاد المسيح حيث أبحروا التجار الهنود مباشرة إلى مواني الصومال حتى وصلوا مصر. كانت الطرق البحرية لجنوب الهند ومعلوماتها معروفة لدى العرب فقط حتى القرن الأول قبل الميلاد. هناك السببان الرئيسيان لهذه التجارة، الأول هو الموقع الجغرافي المناسب لموانئ سواحل جنوب الهند، والرياح الموسمية التي تساعد في سير السفن، والثاني موانئ جنوب الهند مراكز هامة للتجارة العالمية الساحلية.

كانت العلاقة الودية بين العرب وأهل تامل نادو موثوقة منذ زمن بعيد جدا حتى قبل المسيح. وإن جمالها ومناظرها الطبيعية أعجب بها العرب إعجابا. وكانوا يجلبون إنتاجات تامل نادو لا سيما الفلفل، والزنجبيل، والقرنفل، والعود، والمسك إلى بلاد بعيدة، مثل اليمن والشام، وتزوجوا بنساء تامل نادو، وتوطن بعضهم في المناطق الساحلية. وامتزجت ثقافتهم وحضارتهم بتقاليد تامل نادو وعاداتها، حتى صارت جزءا لا يستهان به. وكان العرب يسافرون من مدينتي مصر والشام بطريق البر، يمشون على شاطئ بحر الأحمر، ويصلون الحجاز واليمن، ويركبون السفن، ويسافرون إلى أفريقيا والحبشة، وبعضهم يمرون بحضرموت وعمان والبحرين والعراق عن طريق الشاطئ، ويصلون إيران، ويرسون سفنهم في ميناء بلوجستان أو ميناء كراتشي، ويمرون بمواني الهند مثل غجرات، وكاتهياوار، وبومبائي، وكاليكوت، ورأس كماري Cape Comorin، ومدراس، أو يصلون مدراس بطريق سرنديب، وأندومان، ويدخلون خليج بنغال بعد هذه الجولة([٣]).

المصادر و المراجع

١. محمد سليمان العمري، الدراسات العربية والإسلامية في ولاية تامل نادو منذ ١٨٥٧م، رسالة الدكتورة، جامعة مدراس، ١٩٩٣م

٢. شوقى عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي، عالم المعرفة، تونس، ١٢٩٩هـ

٣. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م،

٤. جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م

[١] المقال "العلاقات الهندية العربية بتركيز جذورها في ولاية تامل نادو" للدكتور ك.م.ع. أحمد زبير، من مجلة الصحوة الإسلامية، العدد : ٧٠، يونيو ٢٠١٣م / رجب ١٤٣٤هـ ، ص: ٨٨ و ٨٩

[٢] شوقى عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي ، ص: ٩٣و ٩٣ عالم المعرفة ، تونس ١٢٩٩هـ

[٣] الدكتور محمد سليمان العمري ، الدراسات العربية والإسلامية في ولاية تامل نادو منذ ١٨٥٧ م، ص: ٣٠ ١٩٩٤م